برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

الفصل الثاني والعشرون في حكايات الصالحين وما بينهم من الرقايق والاقبال على الخالق قال محمد بن السماك الواعظ رحمه الله وصف لي عابد فسرت اليه لازوره
فوجدته في بيت وقد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوصا بين يديه فسلمت
عليه فرد علي السلام ردا ضعيفا فقال من انت قلت محمد بن السماك قال الواعظ قلت
نعم فالقى الخوص من يده وقال يا ابن السماك ان الواعظ من المستمع بمنزلة الطبيب
من العليل فاعرض علي شيا من وعظك فقلت له يا شيخ اما تخشى ان يكون خطيتك لا تنسى
وذنبك لا يمحى ثم كم بين يديك من شدة واهوال وكرب واحوال فاولها ظلمة القبر ثم ظلمة
الحشر ثم ظلمة النشر ثم ظلمة الصراط ثم وزن الاعمال ثم قطع الاعمال ثم سطوة الملك
المتعال فبكا بكا شديدا وقال لي يا ابن السماك وما بعد ذلك قلت حمل الاوزار على النار
واعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار فصاح صيحة ثم سقط في قبره فخرجت اليه عجوزة كبيرة
وجعلت تمسح التراب عن وجهه وتقول بابي وامي هاتان العينان طال ما سهرتا في طاعة
الله وطال ما بكيا من خشية الله ثم حركناه فاذا به قد مات فخرجت من المنزل فاذا بسري
السقطي وابراهيم بن ادهم والجنيد وجماعة من وجوه العباد فقالوا لي مات ابو يزيد
الخواص قلت نعم فدللتهم على المنزل فاخرجوه من قبره ليغسلوه ويكفنوه فوجدوه مغسلا
مكفنا مطيبا فصلى عليه المسلمون ثم رجعنا الى منزلي وقد صغرت عندي نفسي

وينشد شعر
الى كم ذا التراخي والتمادي ، وحادي الموت بالارواح حادي
فلو كنا جمادا لاتعظنا ، ولكنا بالحي اشد من الجمادي
تنادينا المنية كل وقت ، وما نصغي الى قول المنادي
وانفاس النفوس الى انتقاص ، ولكن الذنوب الى ازديادي
اذا ما الزرع قارنه اصفرار ، فليس دواه غير الحصادي
كانك بالمشيب وقد تبدا ، وبالاخرى منادبها ينادي
وقالوا قد قضى فاقروا عليه ، سلامكم الى يوم التنادي

قال عبيد بن واشين مررت يوما في ازقة البصرة فوجدت صبيا يبكي وينتحب فقلت
له يا ولدي ما الذي يبكيك فقال خوفا من النار قلت يا ولدي انت صغير السن وخائف
من النار فقال يا عمي نظرت الى امي وهي توقد النار فتقدم الحطب الصغار قبل الكبار
فقلت يا اماه لم تقدمي الصغار قبل الكبار فقالت يا ولدي ما تشتعل الكبار الا بالصغار

هذا

بهذا لازي ابكاني وهيج لوعتي واحزاني فقلت له يا ولدي هل لك في صحبتي تتعلم ما ينفعك
فقال على شرط ان قبلته فاني اصحبك واتبعك قلت وما هو قال ان جعت تطعمني وان عطشت
تسقيني وان زللت تغفر لي وان مت تحييني قلت له يا ولدي لا اقدر على ذلك فقال يا
عم دعني فاني على باب من يقدر على ذلك كله ، شعر

منك ارجو اسيري ولست اعرف ربا ، ارتجي منه بعض ما منك ارجو — عفو
واذا اشتدت الشدايد في الارض ، على الخلق فاستغاثوا وضجوا
وابتليت العباد بالخوف والجوع ، فاصروا على الذنوب ولجوا
لم يكن لي سواك رب ملاذي ، وتيقنت يا الهي بك انجو

قيل لما بلغ سفيان الثوري رضي الله عنه من العمر خمسة عشر سنة قال لامه يا اماه
هبيني لله فقالت يا ولدي انما يهدى للملوك ما يصلح لهم وانت ما فيك يصلح لله
قال فاستحيا ودخل بيتا فاقام فيه خمسين سنة متوجها الى الله تعالى بالعبادة فدخلت
عليه امه فوجدته مجتهدا في العبادة وعليه اثار السعادة فقبلت عيناه وقالت يا ولدي
الان قد وهبتك لله فخرج عنها وغاب عشرين سنة في سياحة متلذذا بعبادته فاشتاق
الى امه فزارها ليلا فلما طرق الباب نادته من وراء الحجاب يا سفيان من وهب لله شيا
فلا يعود فيه وانا قد وهبتك لله فلا اراك الا بين يديه ، وينشد شعر

ولا تحسبوا اني نسيت ودادكم ، واني وان طال المدا لست انساكم
حفظنا لكم عهدا قديما وحرمة ، ونحن على العهد الذي قد عهدناكم
ونحن على ما تعهدون من الوفا ، يودكم قلبي وبالغيب يرعاكم — ولا انا ناس
ولا انا بناس عهدكم بعد بعدكم ، وما دام قلبي عندكم كيف ينساكم

٢ قال منصور بن عمار رحمه الله تكلمت في بعض مداين العراق كلاما يذوب بالجماد ويفطر
منه الاكباد فلم يجر لاحد في مجلسي دمعة وكان كلامي طرق سمع فبينما انا احرروا بيانا في القلوب
واسوق الارواح الى حضرة المحبوب اذا انا بشاب حسن الشباب قد قام في المجلس وصاح
ثم جلس وزعق فزلزلت بصرخته اركان الافكار وزعق في سر من حلا في سره بجمال
الغفار فنزلت عن منبري ثم امهلت حتى افاق من سكرات غرامه وصاح وراح هيامه
ثم تقدمت اليه وقلت يا سيدي الى اين وصلت حبل طريقك فقال وصلت حبل طريقي الى
بلوغ اربي قلت وعماذا اتصلت قال براحتي بعد تعبي قلت وعلى ما حصلت قال على كثرة
مقصودي ومطلبي قلت هل مررت على حضرة القرب قال نعم ومنها كان مشربي قلت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)